المحاضرة الثانية: الفلسفة وفقه اللغة مصادر اهتمام الفيلسوف باللغة

1/- الفلسفة وفقه اللغة:

أ-في مفهوم فقه اللغة:

"فقه اللغة" تركيب إضافي يتألف من كلمتي "فقه" و"اللغة" فما دلاة الكلمتين في اللغة والاصطلاح؟ "الفقه" و"اللغة" في الاستعمال اللغوي. فقد جاء في لسان العرب بخصوص تعريف كلمة فقه:" الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم".

تعني كلمة "فقه" لغة الفهم والعلم، أما كلمة "اللغة" فيعرفها ابن منظور بقوله و"اللغة اللسن"- أي الكلام واللغة- وأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت، أي تكلمت أصله لغة وككرة وقلة وثبة، كلها لا مانها واوات وقيل أصله لغي أو لغو والهاء عوض، وجمعها لغى مثل برة وبرى". ونذكر في فقه اللغة في الاستعمال الاصطلاحي عبر العناصر الآتية:

-**فقه اللغة: فيلولوجيا:** اتخد مصطلح "فقه اللغة" عند الغربيين عدة مفاهيم نجد ما يلي:

-دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب.

- كما نجد بعض اللغويين استخدموا مصطلح الفيلولوجيا كمرادف لمصطلح علم اللغة.

- دراسة اللغة التاريخي المقارن.

والفيلولوجيا هو العلم الذي يعتبر النصوص القديمة علن التحقيق الدقيق في المخطوطات القديمة الأثرية وفك رموز الكتابات الغابرة وإعادة ترميمها، وعرفت:" فيلولوجيا كلاسيكية وأحيانا تطلق ويراد بها دراسة الحياة العقلية ومنتجاتها على العموم في أمة ما أو في طائفة من الأمم" ولكن استر مصطلح الفيلولوجيا بدراسة النصوص على وجه التحديد. ولما كانت دراسة النصوص غير ممكنة بغير دراسة الناس، ودراسة الأفطار، والعادات، والتاريخ، والفن، والحضارة، فقد يحدث أن ما يسمى عالم ما فيلولوجيا بالمعنى الواسع للكلمة.

ب-الفلسفة وفقه اللغة عند اليونان:

لقد اهتم اليونان بدراسة جوهر اللغة، وعنى بمسائلها، وقد كان أفلاطون أقدم فيلسوف يحدثنا عن عناية اليونانيين باللغة، وذلك في كتابه" قراطولوس" الذي كانت المسألة تدور حول دلالة اللفظ، على معناه، وهل طبيعته ذاتية، أم أنها ترجع إلى عرف الناس. وقد أثار أفلاطون حواره حول هذه المسألة، واستمرت عدة قرون، وشارك فيها الفلاسفة واللغويين، واتصلت بذلك بقضية أخرى هي قياسية اللغة أو عدم قياستها. وإذا كانت القضايا السابقة تدور في فللك الفلسفة وأصحابها فإن هناك من أوجه التفكير اللغوي عند اليونان ما هو أقرب إلى البحث اللغوي، وإن كان لا يخلو بالطبع من آثار هذه الفلسفة المسيطرة.

لقد حاول اليونان تحليل مستويات لغتهم ودراستها، وظهرت عندهم عدة مدارس، إذ نظرت نظرة فيلولوجية والتي تعني بالنصوص القديمة وصور نطقها، كما تعني بالبلاغة والنقد، والاشتقاق وتأصيل الكلمات، والاعتماد في بناء القواعد على القياس، كما استطاع اليونان أن يصلوا إلى منهج علمي في تحديد أصوات لغتهم، ووضع رموز مكملة لما أخذوه عن الكتابة السامية بحيث صارت كتاباتهم معبرة عن نظامهم الصوتي. كما تمكنوا من تقسيم هذه الأصوات معرفة تلك الوحدات الصوتية التي نسميها بالمقاطع. وكذلك كانت لهم معارف نحوية، وصرفية ومعجمية ليس الآن محل تفصيلها، ولكن هناك قضيتين مهمتين:

أ-أن التفكير اللغوي عند اليونان يغلب عليه التأثر بالفكر الفلسفي، فقد بدأت عندهم الدراسات اللغوية مختلطة بالدراسات الفلسفية والأفكار الميتافيزيقية، وخضعت كثيرا للنظريات المنطقية.

ب-لقد ترك الفكر اليوناني في اللغة أثرا عند الرومان مما سهل في ايجاد دراسات لغوية، فقد نشأت بتأثير النحويين اليونانيين، وأقاموا مدرسة نحوية لاتينية، ولقد اعتمد عليها الرومان، و أخضعوا جميع ظواهر اللغة اللاتينية للقوانين والقواعد التي عرفوها في اللغة اليونانية.

2/- في علاقة اللغة بالفلسفة:

تعتبر اللغة وسيلة لإدراك الإنسان الوجود، فهي الجسر الواصل بين خصوصية الذات وعمومية الموضوع، فاللغة تحتل موقع بارزا على خارطة المعرفة الإنسانية، وتزداد أهميتها يوما بعد يوم، حيث ترتبط بعلاقات وثيقة مع الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية، فلا فكر بدون لغة، وكل العمليات الفكرية مهما بلغت درجة تعقيدها لا يمكن أن تتم إلا بواسطة اللغة، والمنطق لفظ مشتق من النطق والكلام وإذا ما اعتبرنا أن الفلسفة والمنطق يمثلان أعلى مستويات الفكر، فإن وسيلتنا لممارسة هذا الفكر هي اللغة.

نشأت الفلسفة مع هذه العلاقة مع اللغة عبر العصور، بدءا من محاورات سقراط إلى غاية تفكيكية دريدا وحتى ما بعد الحداثة. وبهذا توطدت هذه العلاقة، وهذا التبادل إلى الإقرار بثنائية اللغة كأداة للفلسفة، والفلسفة كأداة للغة، ولقد وجدت الفلسفة في اللغة أداتها المثلى، وللتعبير من خلالها عن مقولاتها منها ثنائية الذات والموضوع التي تعد إحدى إشكاليات الفكر الفلسفي الرئيسية. ويمكن تلخيص علاقة اللغة بالفلسفة في هذه النقاط التالية:

1-رفقة دائمة.

2- اللغة كأداة للفلسفة.

3-اندماج اللغة والفلسفة.

3/-علاقة اللغة والمنطق:

اللغة من الأسماء الناقصة وأصلها " لغوة" بضم اللام وسكون الغين من لغا، يلغو، لغوا تكلم، قال ابن جني أما تعريفها ومعرفة حروفها فإنها من "لغوت" أي تكلمت وأساسها "لغوة". ومن معاني "اللغو والنطق واللغات" الصوت، ولغوى الطير أي أصواتها، أما الفارابي فقد عرفها بقوله:" علم الألفاظ". وهذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية نشير إلى أنها العلم الذي يتناول مفردات اللغة وتراكيبها، وما لها من خصائص كارتباط الألفاظ بالمعاني وضبطها.

أما لفظ المنطق فهي لفظة تعني كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف وغير المقيد كما يقول صاحب الكشاف، وقد قالت العرب نطقت الحمامة، والذي علم سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من مقاصده وأغراضه.

من استقراء مدلولات الألفاظ يتبين أن العلاقة وثيقة بين اللغة والمنطق سواء في المدلول اللغوي أو الاصطلاحي، ولقد تنبه علماء اللغة إلى مدى الارتباط بين اللغة والمنطق، يلخص "التهاوني" رأي المناطقة في تبرير تسميته منطق بقوله:" إنما سمي بالمنطق لأن النطق يطلق على اللفظ وعلى إدراك الكلمات وعلى النفس الناطقة، ولما كان هذا الفن يقوى بالأول ويسلك بالثاني كسلك السداد، ويحصل بسببه كما لات الثالث اشتق له اسم منه وهو المنطق".

إلى جانب ذلك، لقد تحدث الكثيرون عن العلاقة الوثيقة بين اللغة والمنطق، وهذا ما تجلى بمنطق أرسطو اعتبر علم المنطق ودراسته ومعرفة قواعده وقوانينه مقدمة ضرورية للبحث في كل العلوم، أو كما قال شراح أرسطو: إن المنطق عنده هو أورجانون العلوم كلها. ولكن في المقابل نجد أن المناطقة العرب أعلنوا في وضوح وجلاء أن علم اللغة يعد مدخلا أساسيا لعلم المنطق ذاته، نجذ هذا الموقف تحديدا عند الفارابي في كتابه (إحصاء العلوم) وكان هدفه إحصاء أهم العلوم في زمانه مرتبه ترتيبا منطقيا. فنجده يضع علم اللغة أول العلوم ويسميه علم اللسان، يليه علم المنطق ثم الرياضيات وتليه العلم الطبيعي فالعلم الإلهي ثم علوم الأخلاق فالسياسة فعلم الفقه فعلم الكلام.